

عليه السلام

الإمام الحسين

راية الاحرار وكعبة الثوار

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

الإِمَامُ الحسينُ عليه السلام

رَايَةُ الأَحْرَارِ وكَعْبَةُ الثّوَّارِ

السيد شبيب مهدي الخرسان

إصدار
وحدة النشر الثقافي
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara

رقم تصنيف LC: BP 41.4 K4 2017

المؤلف الشخصي: الخرسان، شبيب مهدي.

العنوان: الامام الحسين عليه السلام راية الاحرار وكعبة الثوار

بيان المسؤولية: السيد شبيب مهدي الخرسان.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م

الوصف المادي: [٤٨] صفحة

سلسلة النشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ()

تبصرةببليوغرافية: يتضمن إرجاعات ببليوغرافية.

موضوع شخصي: الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، ٦١-٤ هجريا – سيرة.

موضوع شخصي: الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، ٦١-٤ هجريا – فضائل.

موضوع شخصي: الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، ٦١-٤ هجريا – شهادة.

موضوع شخصي: الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، ٦١-٤ هجريا – كلمات قصار.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة – اسباب ونتائج.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

جدول محتويات

المقدمة

الحمد للّه الذي لا خالق سواه خلق الإنسان وخلق السموات والأرض وخلق الإمام الحسين عليه السلام وجعله نبراساً ينير الدرب للثائرين وعلماً يتخذه الأحرار في العالم إذ هو القائل «هيهات منّا الذلّة» يرفض الذل والخضوع ويريد العيش بعزٍّ وسلام وحرية وهذا الشعار اتخذوه وشاحاً رفعوه على صدورهم.

من هنا ارتأينا تأليف هذا الكتاب وهو يتكوّن من ثلاثة فصول: الفصل الأول بحثنا فيه عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام المختصرة، وقد ركّزنا في هذا الفصل على خصلة من خصال الكمال ألا وهي الشجاعة التي شهد له بها الشعراء وكانت لهم حصة منها ونتناول أيضاً من كلماته النيرة عليه السلام، وسميناه بعنوان (من درر كلماته عليه السلام).

أمّا الفصل الثاني بدأناه بـ(دروس من الحسين عليه السلام) و(الحسين عليه السلام قدوة) باعتبار أنّ سيد الشهداء عليه السلام عَلّم الإنسانية درس الحرية بثورته المباركة على يزيد وحكومته الظالمة ولولا الإمام الحسين عليه السلام لاندثر الدين وما بقي منه إلاّ اسمه، وهو الذي اقتدى بجدّه صلى اللّه عليه وآله وسلك كسلك أبيه عليهما السلام.

فمن يقتدي بالحسين عليه السلام ويتخذه أسوة وقدوة

فقد اقتدى بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد أخذ تعاليمه وأحكامه من منبعه الأصلي ومعدنه الأصيل.

فهناك نماذج ممن تأسّى بسيد الشهداء عليه السلام، وكيف نتأسى نحن بالحسين عليه السلام وأنهينا هذا الفصل بالتحدّي الحسيني الذي قاده الإمام الحسين ضد زمرة الشر والرذيلة وكسر حاجز الخوف الذي ابتليت به الأمة.

أما الفصل الثالث بدأناه بـ(عِبَر من الثورة الحسينية) وهو عبارة عن دروس علينا الاستفادة منها وترجمتها إلى واقع نعمل به ونتطرق فيه إلى مقارعة الإمام الحسين عليه السلام الظلم وإنقاذه العباد من التيه والضياع.

وبذلك أصبح خط أبي الأحرار عليه السلام هو خط الفضيلة والعطاء نستلهم منه ونتعلم منه العبر والدروس والرضا والتسليم بما يصيبنا أثناء المسيرة.

وختام هذا الفصل يكون في موقف للإمام الحسين عليه السلام الذي ينمُّ عن اللطف الذي عامل به أعداءه.

سيد شبيب الخرسان

الفصل الأوّل

تعريف

شجاعته

درر من كلماته

تعريف

الكلمات الذهبية التي أوردها الإمام الحسين عليه السلام في الأبيات المنسوبة إليه وهو يحرّك فرسه وسيفه نحو الأعداء، ستكون المنطلق لتعريف شخصيته عليه السلام.

قال عليه السلام:

أنا بن عليّ الحر من آل هاشم
كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وجدي رسول اللّه أكرم من مشى
ونحن سراج اللّه في الخلق تزهر
وفاطمة أمّي سلالة احمد
وعمّي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب اللّه أُنزل صادقاً
وفينا الهدى والوحي والخير يذكر
ونحن ولاة الحوض نسقى محبنا[١]
بكأس رسول اللّه ما ليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة
ومبغضنا يوم القيامة يخسر[٢]

ولادته

وأمّا ولادته عليه السلام فقد ورد في أشهر الروايات

---

(١) وفي بعض النسخ (ونحن ولاة الأرض نسقى ولاتنا).

(٢) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص١٩ ، العلمية، قم، ١٣٨١هـ.

أنّها في الثالث من شعبان سنة أربع من الهجرة واستشهد في العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة، فيكون عمره المبارك ستاً وخمسين سنة ونيفاً.

قضى منها مع جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ست سنين ونيفاً، وكان بصحبة أبيه أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام مدّة ثلاثين سنة بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله، وكان مع أخيه الحسن المجتبى عليه السلام بعد استشهاد أبيه عليهم السلام عشر سنين وبقي بعد استشهاد أخيه السبط عليه السلام إلى شهادته عشر سنين.

شجاعته

كان عليه السلام يرتجز يوم العاشر ويقول:

الموت خير من ركوب العار   والعار خير من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري(١)

يكشف هذا البيت من الشعر الذي نظّمه الإمام عليه السلام عن مبدئهِ وعن الخيارات التي عرضت أمامه فكانت ثلاثة خيارات: الموت، العار، دخول النار.

فاختار الموت من الثلاثة باعتباره أهون وأقل ضرراً من الخيارين الأخرين لأنّ في الثاني (العار) وهو الذل والخزي والمهانة ما دام يعيش مع الظالمين.

ويقول عليه السلام: «وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»(٢).

والثالث (دخول النار) فيكون أبدياً لأنّ فيه العذاب والألم السرمدي والخزي والذل أمام الأشهاد، وإذا كان الاختيار بين الأخيرين فيختار الثاني الذي هو العار على دخول النار

---

(١) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص٣٢، م. العلمية، قم.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤، ص١٩٢.

فالحسين عليه السلام شجاعٌ لا يهاب الموت ولا يخشى مقابلة الأعداء، ولا يدخل في قلبه المبارك الرعب من كثرتهم وقلة ناصريه ومقاتليه، فهكذا يعلمنا الحسين عليه السلام كيف نكون شجعاناً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يبارزني أحد إلاّ قتلته لأنّي متيقّن أنّي أقتله وهو كذلك متيقّن أنا أقتله فأنا ونفسه عليه»[١].

يقول صاحب كتاب كشف الغمة نقلاً عن كمال الدين في إشارة إلى شجاعة الإمام الحسين عليه السلام: (وقد كان أكثر هؤلاء المخرجين لقتاله قد شايعوه وكاتبوه وطاوعوه وعاهدوه وتابعوه... وخرجوا إلى قتاله رغبة في عطاء ابن زياد فقصدوه، فنصب عليه السلام نفسه وإخوته وأهله وكانوا نيفاً وثمانين لمحاربتهم واختاروا بأجمعهم القتل...)[٢].

وطّن الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهل بيته وإخوته من حين خروجه من مكة حيث قال واصفاً أصحابه: «وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحال معنا...»[٣].

وخاصة على القتال ومحاربة الأعداء وهم أهل الكوفة بعد الخيانة الكبرى ومخالفتهم للوعود التي قطعوها على أنفسهم والكتب التي أرسلوها.

قال عليه السلام لهم: «يا أهل الكوفة قبحاً لكم وتعساً حين استصرختمونا والهين فأتيناكم موجفين[٤] فشحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم[٥] علينا ناراً

---

(١) كشف الغمة للأربلي: ص١٧.

(٢) كشف الغمة، للأربلي، ص١٨.

(٣) اللهوف على قتل الطفوف، ص٣٨.

(٤) أي مسرعين.

(٥) حش النار: أوقدها.

نحن أحزمناها على أعدائكم وأعدائنا، فأصبحتم ألباً[١] على أوليائكم ولداً لأعدائكم، من غير عدل أفشوه فيكم ولا ذنب كان منّا إليكم... ولكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا إسراع الدبا، وتهافتتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهاً وضلة وطاعة لطواغيت الأُمة وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنّا وتقتلونا ألا لعنة اللّه على الظالمين»[٢].

هذه هي الشجاعة الهاشمية العلوية الحسينية على الرغم من انسحاب المكاتبين والمراسلين وخذلانهم للإمام عليه السلام وجماعته بل التحقوا بالأعداء فبقي عليه السلام صامداً صلباً صلداً في الساحة في مواجهة أعداء اللّه ورسوله وثابتاً في موقفه وسائراً نحو هدفه لا يلينه خذلان الناصر ولا يضعفه قتل الأهل والإخوان والأحبة.

يقول أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في وصف المؤمن: «نفسه أصلب من الصلد»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل إذ الجبل يستفل[٤] منه والمؤمن لا يستفل من دينه»[٥].

هذا والإمام الحسين عليه السلام ثابت لا تخف حصاة شجاعته، ولا تجف عزيمة شهامته.

وقدمه في المعترك أرسى من الجبال، وقلبه لا يضطرب لهول القتال ولا لقتل الرجال وقد قتل قومه من جموع ابن زياد جمعاً جماً.

---

(١) الألب: بالكسر والفتح لغة: القوم يجتمعون على عداوة الإنسان.

(٢) كشف الغمة، للايلي، ج٢، ص١٩، م. العلمية، قم.

(٣) جامع السعادات، للنراقي، ج١، ص٢٤٤.

(٤) استقل الشيء: اخذ منه ادنى جزء كعشره.

(٥) المصدر نفسه.

وأذاقوهم من الحمية الهاشمية رهقاً...(١).

ويقول الأربلي واصفاً شجاعة الإمام الحسين عليه السلام: (شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في ماقط(٢) الحرب أعجز الأواخر والأول، وثباته إذا دعيت نزال ثبات الجبل، وإقدامه إذا ضاق المجال أقدام الأجل، ومقامه في مقابلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جده صلى الله عليه وآله ببدر فاعتدل وصبره على كثرة أعدائه وقلة أنصاره صبر أبيه عليه السلام في صفين والجمل ومشرب العداوة واحد فبفعل الأول فعل الآخر ما فعل...)(٣).

نعم وكيف لا؟ وأبوه شاطر مرحب وأمُّه تلك المرأة الشجاعة التي دخلت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخطبت خطبتها المشهورة، بيّنت من خلالها واقع الناس في الحجاز قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وبعد استشهاده وما وصلت إليه الأُمَّة بعد استشهاد نبيّها والانحطاط الأخلاقي والعقائدي.

هؤلاء أهل بيت طهرهم الله تطهيراً وورثوا الشجاعة والفصاحة والفهم والعلم من جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام الذي كان مشاركاً في المعارك التي قادها أبوه عليه السلام وكان له الدور البارز فيها.

وكان موقفه مع أخيه الحسن المجتبى عليه السلام بعدما بايعه الناس إلى الصلح الذي عقده مع معاوية وغيرها لهي مواقف تكشف عن نبل وشجاعة الإمام الحسين عليه السلام،

---

(١) رهقا: الرهق، الضعف، الذلة، الهلاك، كشف الغمة، للايلي، ج٢، ص١٨.

(٢) الماقط: المكان الضيق في الحرب.

(٣) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص٢٠، م. العلمية، قم.

وموقفه مع يزيد الشارب للخمر القاتل للنفس المحترمة ورفضه للبيعة وقوله: «مثلي لا يبايع مثله» هذه المواقف وغيرها تنبأ عن شجاعته وبطولاته على طول الخط وفي محطات مختلفة وأماكن متنوعة كتبها التاريخ وتنحني لها الإنسانية احتراماً وتقديساً ويشهد بها العدو قبل الصديق.

وكان للشعر حصة ليصف شجاعة الإمام الحسين وآبائه عليهم السلام فقال:

أنا الحسين بن علي بن أبي
طالب البدر بأرض العرب
ألم تروا وتعلموا أنّ أبي
قاتل عمرو ومبير مرحب
ولم يزل قبل كشوف الكرب
مجلياً ذلك عن وجه النبي
أليس من أعجب عجب العجب
أن يطلب الأبعد ميراث النبي

وقال عليه السلام أيضاً:

إذا ما عضك الدهر فلا تجنح إلى خلـــق
ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الـــرزق
فلو عشت وطوفت من الغرب إلى الشرق
لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يشقي

وقال عليه السلام كذلك:

يا نكبات الدهر دولي دوِّلي وأقصري إنْ شئتِ أو أطيلي[١]

وقال عليه السلام:

رميتني رمية لا مقيـــل بكل خطب فادح جليل
وكل غبء أيد ثقيـــــل أول ما زرئت بالرسول
وبعد بالطاهرة البتـــول والوالد البر بنا الوصول

---

(١) دالت الأيام: دارت. ودال الزمان: انقلب من حال إلى حال.

وبالشقيق الحسن الجليـل   والبيت ذي التأويل والتنزيل
مالك عنِّي اليوم من عدول   وحسبي الرحمن من منيل[١]

ولـه موقف آخر ينمُّ عن شجاعته وبطولته حيث روي: أنّ أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام اعترضه وهو في طريقه إلى المدينة وقال له: إلى أين يا بن رسول الله؟ إنّ بني أميّة سيقتلونك فأجاب عليه السلام: «إذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق»[٢].

ولما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة ولزم الطريق، فقيل له: لو تنكبت الطريق كما صنع ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب، فقال: «لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ»[٣].

وعندما سار عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره، ويقول يا حسين إنّي أذكرك الله في نفسك فإنّي أشهد لأن قاتلت لتقتلن، فقال له الحسين عليه السلام: «أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال اخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه، وقال: أين تذهب فإنّك مقتول فقال:

سأمضي وما الموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبوراً وودع مجرما
فإنْ متُّ لم أندم وإنْ عشت لم أُلَم
كفى بك ذلاً أنْ تعيش وترغما»

---

(١) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص٣٦، م. العلمية، قم.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ص٤٢.
(٣) الارشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص٣٥.

ومن شجاعته عليه السلام أنّه كان بين الحسين عليه السلام وبين الوليد بن عقبة منازعة[١] في الضيعة فتناول الحسين عليه السلام عمامة الوليد عن رأسه وشدها في عنقه وهو يومئذ والٍ على المدينة فقال مروان بالله ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره، فقال الوليد: والله ما قلت هذا عصبةً لي ولكنك حسدتني، على حملي عنه، وإنّما كانت الضيعة له فقال الحسين: «الضيعة لك يا وليد» وقام.

درر من كلماته عليه السلام

قال سيد الشهداء عليه السلام: «شر خصال الملوك الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء»[٢].

وقال عليه السلام: «موت في عزّ خير من حياة في ذل»[٣].

وقال عليه السلام لهرثمة بن أبي مسلم: «فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً ولا تسمع لنا صوتاً فو الذي نفس حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلاّ كبَّه الله لوجهه في نار جهنم»[٤].

ومن خطبة له عليه السلام: «إنّ الحلم زينة، والوفاء مروة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف[٥] والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل

---

(١) روضة الواعظين، ص١٧٩- ١٨٠، للقتال النيسابوري.

(٢) مناقب أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٢١، باب إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٤، ص١٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥٦، ب٣١.

(٥) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف، والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً.

الفسق ريبة»(١).

يعلّمنا الإمام الحسين عليه السلام من هذا الكلمات بعض الصفات إنْ وجدت في شخص فنعرفه من أي صنف هو أو من أي نوع، فمثلاً يقول إنّ صفة الجبن إذا وجدت عند الملوك فهي تدل على خصلة الشر بمعنى آخر إنّي أعرف أنّ هذا الملك شريرٌ من خلال صفة البخل مثلاً الجبن أو القسوة على الضعفاء، فيعطينا مقياساً نعرف به شرار الملوك وكذلك عندما يقول الحلم زينة والوفاء مروة، والصلة نعمة فيبين عليه السلام أثر كل واحد من هذه المصطلحات وما يترتب عليها عند فعلها من آثار فيصبح الإنسان في نعمة عندما يكون في صلة مع الناس وخاصة لذي رحم وهذا ما أكدته الروايات وما تحدث به الفقهاء والعلماء وأصحاب المنابر.

وجميع أقواله عليه السلام هكذا هي، فبما أنّه إمام معصوم والمعصوم قوله حجة إذن نأخذ هذه الأقوال من عين صافية ومعدن خالص خالٍ من الشوائب ونطبقها ونحن مطمئنون ومتيقنون بها لأنّنا نأخذها من مصدرها الأساس ومن منبعها الأصلي يقول النبي صلى الله عليه وآله: «يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش»(٢)، وهم الأئمة الطاهرون منبع العصمة والطهارة أولهم عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص٣٠، م. العلمية، قم.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج٣، ص٥٠٢، مؤسسة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني

١. دروس من الحسين عليه السلام

عِبر للأحرار

الثّقة بالله

الحسين عليه السلام وإقامة الدين

الإمام الحسين عليه السلام أسوة وقدوة

٢. الحسين عليه السلام قدوة

التأسي

لماذا التأسي

التأسي بالحسين عليه السلام

ممن تأسى بالحسين من الأولين والسابقين

النبيُّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام

النبيُّ موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام

النبيُّ إسماعيل على نبيّنا وآله وعليه السلام

كيف نتأسى بالحسين على نبيّنا وآله وعليه السلام

التحدي الحسيني

١. دروس من الحسين عليه السلام

عِبر للأحرار

العبودية هي أمر غير محبذ في الشريعة المقدسة لذا نرى الشارع المقدس وضع طرقاً مختلفة لتخليص المجتمع من هذه الظاهرة الاجتماعية التي ابتلي بها الناس نتيجة لظروف اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها واللّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حراً عزيزاً كريماً لا يقبل له الذل والهوان ولو في الأمور العبادية، كما لو كان الماء عند شخص والذهاب إليه يسبب الذل والهوان فإنّ الشارع المقدس في مثل هذه الحالة أوجب التيمم وهذا إن دل على شيء فهو يدل على عزّة وكرامة الإنسان التي أرادها اللّه له.

والإمام الحسين عليه السلام أعطانا دروساً في العزة والكرامة وعدم الذلة ولا نكون عبيداً في دنيانا، وكيف نكون أحراراً وما هو الأسلوب المناسب للوقوف بوجه الظالم وعدم الركون إليه فقال عليه السلام: «لا واللّه لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»(١)، فيُقسم الإمام عليه السلام بالقسم الشرعي الذي ينعقد مع النيةِ والقصد، وذلك لنتعلم منه عليه السلام أنْ نعيش أحراراً في هذه الدنيا الدنية، ولا نكترث لما يصيبنا للوصول إلى هذا الهدف ولا نكون أذلاء خاضعين متسكعين مطيعين للظالمين والطغاة، وكما قال الشاعر:

---

(١) الارشاد، ج٢، ص٩٧ – ٩٩.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

وقال عليه السلام: «هيهات منا الذلة»(١) إنّ الذلة مستحيلة على المؤمن إلاّ في حالات استثنائية اضطرارية فيأبى اللّه ورسوله والمؤمنون فإنّ اللّه خلق الإنسان لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وإذا كان الإنسان ذليلاً عابداً لهواه وسلطانه طائعاً لفراعنة زمانه ولطغاة بلاده، فبطبيعة الحال لا يكون عابداً للّه عزَّ وجلَّ لأنّ هذا المعنى لا يرضى به الطغاة ولا عبيد الدنيا وبالتالي لا يتحقق الهدف الذي من أجله خلق الإنسان، وهذا هو الخط العام الذي يرسمه الإمام الحسين عليه السلام للأحرار في العالم.

فمتى ما كان الإنسان ذليلاً خاضعاً متذللاً لغير اللّه فلا يكون حراً بل يكون عبداً، أمّا التذلل للنبيِّ صلى اللّه عليه وآله وأهل بيته فهو تذلل للّه وبأمر اللّه فهو خارج عن العبودية، فالنبيُّ الأكرم صلى اللّه عليه وآله وأهل بيته هم الوسيلة إلى اللّه تعالى، وأقرب طريق وأفضله للوصول إلى عبادة اللّه تعالى هو النبيُّ وأهل بيته صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

وقد رسم الإمام الحسين عليه السلام بمسيرته الخالدة طريقاً للأحرار بقوله: «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم...»(٢).

فسيد الشهداء عليه السلام يخاطب جيش عبيد اللّه ابن زياد ويرشدهم بأنّ القتال بيننا وبينكم وعليكم الالتزام بقواعد الحرب وما آلت إليه العرب من أسس وأعراف وتقاليد ولا تخالفوها فلا تجهزوا على جريح ولا تعتدوا على امرأة... ولكن هل التزم معسكر ابن زياد لعنه اللّه بهذه الأعراف

---

(١) مقتل الحسين، العلامة المقرم، ص٢٣٢.

(٢) أعيان الشيعة، للعاملي، ج١، ص٦٠٩.

والتقاليد؟ كلا.

لم يعترفوا بها أبداً، ولم يطبقوها بل خالفوها وشهد بذلك الصغير والكبير إضافة إلى مخالفتهم للشريعة المقدسة والأحكام المنزلة ولعدل القرآن المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام فيقول: «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد» فمرة الإنسان يكون له دين ويطبق الأحكام الشرعية ويلتزم بها ولا يخالفها هذا نمط من الناس والنمط الآخر الذين يخافون الميعاد فهم يطبقون الشريعة المقدسة لأنّ وراءهم حساباً وعقاباً فيخافون ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار فالإمام عليه السلام يقول أيّها الإنسان إذا لم تكن من النمط الأول ولا الثاني فكن من النمط الثالث فكن حراً في دنياك لتكن ممن يأتيه الضمير ويمشي على ما تيقن به الوجدان، لكن بني أُميّة خالفوا جميع ذلك ولم يلزموا لرسول الله قرابة فاعتدوا على النساء والأطفال وأرهبوهم وحرقوا الخيام وضربوهم بالسياط وسحقوا جسد سبط النبيِّ صلى الله عليه وآله وسبوا ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله و... لعنهم الله وأركسهم في مقر نار جهنم.

الثقة بالله

على كل فرد أن يسير على المنهاج الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام والأهداف التي ناضل من أجلها وضحى بدمه الزكي في سبيل تحقيقها وعلينا جميعاً أن نلتزم بالنداء الذي أطلقه عليه السلام في يوم عاشوراء «اللهم أنت ثقتي في كل كرب»(١).

تحتوي كلمة ثقة على معنى عميق في ذاتها فهي تعني «اللهم أنت سيدي واطمئناني وإيماني واعتمادي»، وللكرب أيضاً معنى دقيق فهي تعني الانكماش والاضطراب

---

(١) الارشاد، ج٢، ص٩٦.

والحزن والمعنى الإجمالي للعبارة: إلهي أنت وحدك مدعاة سكوني واطمئناني عند عظيم الكربة وفرط الغم وأنت من يهدئ خاطري ويسكن روعتي، غاية الأهمية أنْ يثق الإنسان بربه، فهي قضية ليست مستحيلة ولكنها تحتاج إلى جد واجتهاد ولا هي بالشيء الهين وسهلة المنال تحتاج إلى توفيق رباني وتسديد إلهي وهذا يأتي من الشخص نفسه بعمله وفعله فلو وثق الإنسان بربه نال الدرجات العلا.

نعم أطلق الإمام عليه السلام هذا النداء وهو في وضع مأساوي حزين في أرض المعركة وقتل من قتل من أولاده وإخوته وأصحابه في وضع يندى له جبين الإنسانية، فكان عليه السلام متخناً بالجراح وملقى على الرمال الحارقة في أرض كربلاء، وجسده الطاهر ينزف دماً زكياً في تلك الظروف العصيبة والأوضاع الأليمة وهو يرى الأرامل واليتامى ويرى أفواجاً من البلايا وأمواجاً من المصائب العاتية، يتوجه الإمام عليه السلام إلى الله ليؤكد ثقته به «اللهم أنت ثقتي في كل كرب» وهذا ما دعا أحد الرواة الشهود على واقعة كربلاء لأنْ يصف رباطة جأشه وقوة عزمه عليه السلام بما يلي: (..... فو الله ما رأيت أحداً قط قتل ولده وأهل بيته وصحبه اربط جأشا منه...)(١).

والتوكل ليس ترك الواجبات والأعمال اليومية المتداولة كما يتصور البعض، ويعتقد وجود التعارض بين فكرة التوكل وبين الأخذ بالأسباب الدنيوية الطبيعية وأنّ أمور المتوكلين تأتي بالطرق الغيبية لأنّ التعاليم الإسلامية تفنِّد هذا التصور، فإنّ عبارة (اللهم أنت ثقتي...) لا تعني أنْ يقفز الإنسان على القوانين الدنيوية ويترك الجد والاجتهاد فيقول العزيز الجليل في القرآن المجيد ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٠.

سَعَى ﴾(١)، فالتوكل يعني أنّه في الوقت الذي يبذل الإنسان جهده ويأخذ بأسباب الدنيا المتاحة، عليه أنْ يضع ثقته في التقدير الإلهي، ويعتمد على الله سبحانه وتعالى ويرضى بما قسم له.

وبطبيعة الحال فإنّ سيد الشهداء تهيأ ليوم عاشوراء وأعد الأسباب والمستلزمات الضرورية للتوكل على الله، يروى في هذا الشأن أنّ قافلة الإمام الحسين عليه السلام كانت تحتوي بالإضافة إلى الأبقار والأغنام (٢٥٠) من الإبل وكما ورد أنّ سيد الشهداء قد حط رحاله على أرض كربلاء بمعية ألف وخمسمائة شخص(٢).

الخلاصة

لا تعني عبارة (اللهم أنت ثقتي في كل كرب) أنْ يترك الإنسان العمل والمثابرة ويركن إلى الكسل، فكلّ شيء في هذه الدنيا يحتاج إلى تهيئة الأسباب والمسببات وحل المشاكل بالطرق المشروعة دون الاستغناء عن التوكل على الله والإنابة إليه في جميع الأمور ولا يلجأ لغيره.

الحسين عليه السلام وإقامة الدين

كاد الدين الإسلامي أنْ يندثر والأحكام الشرعية أنْ تتغير لولا الثورة الحسينية المباركة ووقوف الإمام الحسين عليه السلام بوجه الطاغي يزيد لعنه الله اللاّعب بالقرود الشارب للخمور، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت من أجل الإصلاح في أمّة محمد صلى الله عليه وآله فقال عليه الإسلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت

---

(١) سورة النجم، آية : ٣٩.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص٧٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٦.

لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...»(١).

من أجل ذلك ثار الحسين عليه السلام وبذل دمه الطاهر ودماء أهل بيته الكرام فلولاه لما كانت الصلاة اليوم ولا صيام ولا حج ولا زكاة لأنّ بني أميّة كانوا على وشك القضاء على الدين وتعاليمه السمحاء وأحكامه الملائمة لفطرة الإنسان لذا أطلع اللّه النبيَّ محمداً صلى اللّه عليه وآله على آياته الكبرى في قصة يسردها لنا القرآن الكريم ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾(٢) وفي آية أخرى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(٣).

فعندما أُسري بالنبيَّ صلى اللّه عليه وآله وعرج به إلى السماء رأى من آيات ربه الكبرى ومن ضمن ما رأى مكانة حفيده الإمام الحسين عليه السلام وعظمته.

عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «أتيت جدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، فرأيت أُبَيْ بن كعب جالساً عنده، فقال جدّي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض فقال أُبَيْ: يا رسول اللّه وهل أحد سواك زين السموات والأرض؟ فقال النبيُّ صلى اللّه عليه وآله: يا أُبَيْ بن كعب والذي بعثني بالحق نبياً، إنّ الحسين بن عليٍّ في السموات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب على سرادق العرش «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من أتى الحسين عارفاً بحقه كتبه اللّه في أعلى عليين»(٥).

---

(١) لواعج الأشجان، محسن الأمين، ص٣٠.

(٢) النجم، آية : ٨ -٩.

(٣) النجم، آية : ١٨.

(٤) معالي السبطين، ج٢، ص٢٨٧.

(٥) ثواب الأعمال، للصدوق، ص١١٠، ح٢.

إنّ اللّه سبحانه وتعالى دعا أشرف أنبيائه وخاتم رسله ليغذيه بالتعاليم الإسلامية وليريه من آياته الكبرى التي كانت مكتوبة على ساق العرش قبل أنْ يولد الإمام الحسين عليه السلام.

إذن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي أقام الدين وحفظ الشريعة ورفع راية الإسلام عالية ويجلس تحت ظلها الكل.

ويعرفه عليه السلام أهل السموات أكثر من أهل الأرض ونشر أحكام ربه وتشريعات جده وهو الذي أنقذ البلاد والعباد من زمرة حكمت البلاد طيلة الفترة السابقة حيث كانت جاثية على جسد الأُمَّة.

السلام عليك يا أبا عبد اللّه الحسين وعلى الأرواح التي حلت بفنائك سلاماً أبداً دائماً سرمداً لا ينقطع أبداً ولا يحصى له الخلائق عدداً.

الإمام الحسين عليه السلام أسوة وقدوة

اقتدى الإمام الحسين عليه السلام بجده رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله الذي صدّع برسالته العامة على الصفا والمروة في موسم الحج وكان المتنفذون في زمانه قريشاً وخيلاءها وغطرستها وكانوا يعبدون من دون اللّه ثلاث مائة وستين صنماً، فنزلت عليهم الرسالة كالصاعقة فأخذوا يحيكون المؤامرات لقتله والتخلص منه بكل ما أُوتوا من قوة وبذلوا في تحقيق ذلك غاية جدهم وجهدهم، فكانوا يحاولون قتله في كل يوم مراراً، فتحمّل منهم الأذى، وصابرهم بالحلم والأناة وجادلهم بالتي هي أحسن وتكبد المشاق في سبيل اللّه، فلما عجزوا عن مقاومته بالقوة والعنف لجؤوا لاستمالته إليهم بالطمع واللطف فوعدوه أنْ يجمعوا له من الأموال ما يكون به أغنى أهل مكة جميعاً، ويجعلوه حاكماً على قبائل

قريش كافة فرفض النبيُّ صلى الله عليه وآله طلبهم أشد الرفض وأقسم بالله أنّه غير تارك لهذا الأمر وماضٍ فيه بقوله: «والله لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أنْ أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه»(١).

في ظل هذه الظروف وتحت هذا الجفاء والخشونة الجاهلية لم يهتم النبيُّ صلى الله عليه وآله فأعلن ثورته ضد الجاهلية وجعل الأرباب المتصدرة رباً واحداً في قعر ومركز عبادتهم فأظهر الله أمره على يده وأتم دينه ولو كره المشركون.

ولم يمض على هذه الرسالة قرن فرأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ دين جدّه سيعود بعد زمن نسياً منسياً وتندرس آثاره وكأن شيئاً لم يكن ويوضح لك ذلك قوله عليه السلام: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمَّة بوالٍ مثل يزيد»(٢).

فلم يكتف الإمام الحسين عليه السلام بقوله هذا بل ثار بوجه يزيد الفاجر قاتل النفس المحترمة للحفاظ على دين الله وشريعة جده، فرفض طلب بني أُميَّة كما رفض جده اقتراح قريش، ولكنَّ اقتراح يزيد على الحسين كان أشد من اقتراح سلفه على جدّ الحسين عليه السلام، قريش أرادوا من النبيَّ أنْ لا يدعو إلى عبادة الله وحده، يجعلوه ملكاً عليهم، ويجمعوا له من الأموال ما يكون به أغنى أهل مكة، ويزيد اقترح على الحسين عليه السلام أنْ ينزل على حكمه فإما يدفعه إلى سرجون ليقتله بعمه حنظلة أو جدّه عتبة، أو خاله الوليد، أو يقتله قتلة أُخرى هي شر من هذه وأخزى فقال عليه السلام: «إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما...»(٣).

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج١، ص٢٨٥.
(٢) الملهوف على قتلى الطفوف، ص٩٩.
(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٤٤، ص١٩٢.

وكيف ينزع الحسين عليه السلام عن دعوته لدين جده طمعاً بحياة موهونة يمنُّ بها عليه قوم أنذال، أو انتظار لقتلة ذليلة يعتقدها على أيدي أشرار أمّة وجّده سبقه لا يكترث من جفائهم وخشونتهم ولم يطمع بما قدموه له فاقتدى بجده وسار بطريقه فنال الشهادة في الدنيا والحياة الأبدية في الآخرة.

فمسؤوليتنا أنْ نتخذ الإمام الحسين عليه السلام قدوة لنا لأنّ كل أفعاله وأعماله لله ومن أجل الشريعة الإسلامية بل من أجل الإنسانية، فنسير وراءه ونحن مطمئنون بأنَّه يأخذ بأيدينا إلى شاطئ الأمان والفوز في الدارين.

التأسي

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

التأسي مبدأ قرآني ذكره الله تبارك وتعالى في نصوص الذكر الحكيم ومعناه الاقتداء والاتباع بل والإشراك بالأموال، والتضحية في النفس في الدفاع عن المتأسى به، والأسوة (كالقدوة وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره حسناً أو قبيحاً، ساراً أو ضاراً)(٢).

والمتأسي: هو الذي يرسم خطوات الكاملين من البشر، وجدية الحركة، ودقة المسير ويكون ذلك بتصور مواقفهم ومحاكاتها بوعي وإدراك، وجعل تلك المواقف مصابيح تنير الدرب للمتأسي لتجاوز العقبات المعترضة، ولذا جاء النص القرآني للتأكيد على هذه المسألة وهي أهمية التأسي بالرسل وخلفائهم وأتباعهم كإبراهيم وموسى وعيسى والذين

---

(١) الأحزاب، آية : ٢١.

(٢) مفردات غريب القرآن، ص١٨.

معهم يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢).

السؤال هنا: لماذا نتأسّى بالأئمة الطاهرين عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

الجواب: الإنسان بطبيعته يحتاج إلى من يقتدي به ويتخذه أسوة ليكون مبعث اطمئنان وأمان لكيلا يشعر المتأسي بأنّه وحده في المسير إنّما هو حلقة من سلسلة طويلة من الأنبياء والرسل على طول المسيرة الطويلة من الحياة حينئذ سيشعر المتأسّي بأنَّه سلك عقيدة ومنهجاً في الحياة هو خير منه وأفضل وتحمل من اجله ما تحمل فيسلك هذا الطريق وهو مطمئن من صحته لأنّه استوحى مبادئه والرسالة، ثمّ إنّ التأسي يقرّب العبد إلى الله تعالى ويحببه إليه يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فتأسّ بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ فيه أسوة لمن تأسّى وعزاء لمن تعزّى، وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيه والمقتص لأثره»(٣).

وليس كل إنسان له القابلية على التأسي بل لابد من توفر لوازم وأسس تقوم عليها شخصية المتأسي وهي أنْ يكون متلبساً بحقيقة الإيمان.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، (بدل من ضمير الخطاب في (لكم) للدلالة على أنّ التأسي برسول الله خصلة جميلة زاكية لا يتصف بها كل من

---

(١) الممتحنة، آية : ٤.

(٢) الممتحنة، آية : ٦.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٦.

تسمى بالإيمان، وإنّما يتصف بها جمع ممن تلبس بحقيقة الإيمان وكان يرجو اللّه واليوم الآخر أي تعلق قلبه باللّه، وتعلق قلبه باليوم الآخر فعمل صالحاً، ومع ذلك ذكر اللّه كثيراً فكان لا يغفل عن ربه، فتأسى بالنبي في أفعاله وأعماله)(١).

إذن مسألة التأسي لا ينالها إلاّ ذو حظ عظيم وامتحن اللّه قلبه بالإيمان واطمئن وتيقن بأنّه لا مؤثر في الوجود إلاّ اللّه وحده، فالمتأسّي يسير على نهج الأنبياء والصالحين في طلب رضوان اللّه والتجرد عمن سواه، وصعوبة الالتزام بمنهج التأسي ناشئ من صعوبة تجاوز الإنسان لذاته والانتقال بها من الخلق إلى الحق.

التأسي بالحسين عليه السلام

لقد اتصف الإمام الحسين عليه السلام بكل مواصفات الكمال في حركاته وسكناته وأعطى دروساً للإنسانية لا تحد بحدود الزمان والمكان ولا تتأطّر بإطار، لأنّ اللّه ادّخره لإصلاح دينه فلا تجد أحداً بعد جده وأبيه وأمّه وأخيه بلغ شأن عظمته فهو عظيم من جميع الجهات نعم يمكن أنْ تجد شخصاً عظيماً في جهة من الجهات وهذا ما تميز به الحسين عليه السلام فهو عظيم في شجاعته كما مر، وعظيم في بطولته، وعظيم في تضحيته وعظيم في شهادته وعظيم في زهده، وعظيم في عبادته.

ولا غرابة في ذلك إذ تجد الحسين عليه السلام عظيماً في كلِّ شيء فهو منبثق من عظمة نبوة محمد صلى اللّه عليه وآله، وعظمة شجاعة عليٍّ عليه السلام، وعظمة صبر فاطمة عليها السلام وبذلك يكون الحسين عليه السلام مثلاً لعظمة الإنسان.

إذن الإمام الحسين عليه السلام أسوة وقدوة في كلِّ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٢٨٩.

منحى من مناحي الحياة أسوة في التحدي، وأسوة في الزهد في الدنيا وأسوة في الشهادة وإقدامه على التضحية بكلِّ غالٍ ونفيس، وليس ذلك فحسب وإنّما هو أسوة لمن سبقه من الأولياء والمصلحين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال عليٌّ عليه السلام للحسين: يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً، فقال عليه السلام جعلت فداك ما حالي؟ قال عليه السلام: علمت ما جهلوا، وسينتفع عالم بما علم، يا بني اسمع وابصر من قبل أنْ يأتيك فو الذي نفسي بيده ليسفكن بنو أُميَّة دمك ثم لا يزيلونك عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربك، فقال الحسين عليه السلام: والذي نفسي بيده حسبي، أقررت بما أنزل الله، وأصدّق نبي الله، ولا أكذّب قول أبي»(١).

ولقد تأسّى بالإمام الحسين عليه السلام من الأولين ومن الأنبياء العظماء كالنبي آدم والنبي عيسى والنبي إسماعيل على نبيّنا وآله وعليهم السلام.

النبي آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام

روي: أنّ آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها، فمر بكربلاء فاغتم، وضاق صدره من غير سبب وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض، فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً فسال دمك موافقة لدمه فقال آدم عليه السلام: يا رب أيكون الحسين نبياً؟ قال: لا ولكنه سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله. فقال: ومن

---

(١) كامل الزيارات، ص١٥٠، مؤسسة نشر فقاهة.

القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات والأرض. قال آدم عليه السلام: أي شيء أصنع يا جبرائيل؟ فقال: (العنه يا آدم)، فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك(١).

النبي موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام

روي: أنّ موسى كليم الله على نبيّنا وآله وعليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه، وسال دمه. فقال: الهي أي شيء حدث مني؟ فأوحى إليه: إنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه. فقال: رب من يكون الحسين؟ ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء. فرفع موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه(٢).

اسماعيل النبي على نبيّنا وآله وعليه السلام

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه: {واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا} لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيا من الأنبياء بعثه الله عز وجل إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام(٣).

---

(١) المجالس الفاخرة، ص٢٧٤.
(٢) بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٠٠، ب٣٠، ح٤١.
(٣) بحار الانوار، للشيخ المجلسي، ج١٣، ص٣٨٨.

كيف نتأسى بالحسين عليه السلام

من أراد أنْ يتأسى بالحسين عليه السلام ويكون حسيني العقيدة والشريعة وحسيني الهدف والوسيلة فعليه أنْ يوحد اللّه سبحانه وتعالى ويضحي من أجل الدين والإسلام بكل غالٍ ونفيس ويسعى ما سعى إليه الإمام الحسين عليه السلام وماً أراده وطبّقه بأسلوب عملي وبتضحية منفردة من نوعها وبطريقة استشهاد لتذرف لها العيون بدل الدموع دماً كما قال الإمام الحجة المنتظر عجل اللّه فرجه الشريف في زيارة الناحية المقدسة «ولأبكينَّ عليك بدل الدموع دما»[١] وعليه أنْ يستحضر الحقيقة الحسينية وهي الإسلام، والفداء لأجله، والتضحية بكل شيء في سبيله، فما قام سيد الشهداء عليه السلام وما أعطى وما ضحى إلاّ لأجل الإسلام وبقاء رايته عالية وأحكامه سارية، وليوحّد اللّه في الأرض، ولا يُعبد سواه فلا يمكن أنْ يتأسّى بالحسين عليه السلام من يجهل التوحيد.

فإنّ لمحبي أهل البيت عليهم السلام في السر والعلانية علامات يعرفون بها، قيل للمعصوم عليه السلام: وما تلك العلامات؟ قال عليه السلام: «تلك خلال أولها أنَّهم عرفوا التوحيد حق معرفته، وأحكموا علم توحيده، والإيمان بعد ذلك بما هو، وما صفته، ثم علموا حدود الإيمان، وحقيقته، وشروطه، وتأويله»[٢].

إذن الشخص الذي لا يعرف الإسلام ودوره في الحياة لا يمكن أنْ يتأسّى بالحسين عليه السلام، فالحسين إسلام تجسد على الأرض والإسلام تمثل به قلباً وقالباً ومن لا يعي الإسلام عقيدة ومنهجاً للحياة لا يفهم الحسين عليه السلام، فهو ثورة محركة لعجلة التاريخ إلى يوم القيامة، والمواسي

(١) المزار لابن المشهدي، ص٥٠١.
(٢) تحف العقول، ص٢٤١.

هو الذي يشاركه في مواقفه وشدائده، ويعطي نفسه فداءً لأهداف الحسين في حركته وبذل كل وجوده دفاعاً عنها، وعن أهل بيته الطاهرين حتى بذل مهجته بين يديه.

التحدي الحسيني

من أروع صور التحدي في التاريخ الإسلامي التحدي الحسيني في مواجهة الانحراف الأموي عن الإسلام وعن شريعة سيد الأنام رغم قوة الدولة الأموية، وجبروت ملوكها.

فوقف سيد الأباة ليسطّر أروع البطولات على طول التاريخ البشري ليواجه أعتى أمواج الجاهلية التي عادت من جديد على لسان معاوية ويزيد بشكل صريح يقول ابن أبي الحديد: (سيد أهل الإباء، الذي علّم الناس الحمية، والموت تحت ظلال السيوف، واختياراً له على الدنية، أبو عبد الله الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام عُرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل، وخاف من ابن زياد أنْ يناله بنوع من الهوان؛ إنْ لم يقتله، فاختار الموت على ذلك.

وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري، يقول: كأنّ أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلاّ في الحسين عليه السلام:

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنّه
هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصِك الحشر
تردى ثياب الموت جمراً فما أتى
لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٤٩.

ومن صور التحدي في ثورة الحسين عليه السلام كلامه يوم الطف «ألا وإنّ الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة! يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية»(١).

يا لها من كلمات تهز الإنسان من الأعماق وتزرع في قلبه العزة والكرامة وتعلّمه الحرية والإباء ونبذ الذل والعيش بخسة وهوان فهذه صورة مشرقة نتعلم فيها من الحسين عليه السلام كيف نكون أحراراً؟ ومتى نتخذ القرار الحاسم والشجاع في أحلك الظروف وأشدها ضراوة وأعقدها اختياراً نتخذ الحسين عليه السلام قدوة ليس اعتباطاً وإنّما هو أهل للقدوة لمواقفه النبيلة والشجاعة وأسلوبه العملي الموافق للدين والفطرة والإيثار بنفسه لغيره وغير ذلك.

ومن صور التحدي حين قال مروان لوالي المدينة: (أيّها الأمير إنْ فارقك الساعة، ولم يبايع فإنّك لن تقدر منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينه، فاحبسه عندك، ولا تدعه يخرج أو يبايع، وإلاّ فاضرب عنقه، فالتفت إليه الحسين عليه السلام وقال: «ويلي عليك يابن الزرقاء أتأمر بضرب عنقي؟ كذبت والله ولؤمت، والله لو رام ذلك أحد لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك فإنْ شئت ذلك فرِم أنت ضرب عنقي إنْ كنت صادقاً»، ثم أقبل الحسين عليه السلام على الوليد، فقال: «أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس، معلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينّا أحق بالخلافة والبيعة»).

---

(١) مقتل الحسين، للمقرم، ص١٣٥.

وهذه الصورة أكثر إشراقاً ولمعاناً من الأولى باعتبارها مقولة للإمام الحسين عليه السلام ردوها في مركز البلاط الأموي وفي عقر دارهم وأمام حاشية الحاكم وجلاوزته وإنْ كانت كلُّ مواقف الإمام الحسين عليه السلام مشرقة ولامعة، فكلمة الحسم قالها الإمام عليه السلام: «مثلي لا يبايع مثله» شعار مدوٍّ في الأفق تتخذه الأجيال وشاحاً لمقارعة الظلم والطغيان وعلماً لإسقاط الطغاة والظالمين فهو عليه السلام من جهة يتحداهم ويبين عدم رضاه وسخطه على سياستهم ومنهجهم المنحرف عن مسير الشريعة الإلهية، ومن جهة أخرى يمدّ يده للنظر أيّهم أحق بالأمر بقوله: «وننظر وتنظرون، وأيّنا أحق بالخلافة والبيعة»، ومن صور التحدي قوله لأخيه محمد ابن الحنفية لما اقترح عليه أنْ يُخفي الإمام الحسين عليه السلام نفسه في بعض الأصقاع: «يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»(١).

كلمة قالها وهو مطمئن ومتيقن منها لأنّه يعرف يزيد من هو ومن أبوه وما هو تكليفه باعتباره إماماً معصوماً مفترض الطاعة ومن تلك السلسلة الذهبية التي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالها وقلبه المبارك صلد لا تهزّه الرياح ولا تؤثر عليه تقلبات الزمان والناس فعلينا أنْ نتخذ من هذه المواقف النبيلة ومن هذه الشخصية العظيمة ما نصحِّح به مسيرتنا ونقوّي به عزيمتنا ونكون من الذين ساروا على نهجه واتخذوه قدوة في حياتهم.

---

(١) مقتل الحسين، للمقرم، ص١٣٥.

الفصل الثالث

عِبر من ثورة الإمام الحسين عليه السلام

مقارعة الظلم

إنقاذ العباد

العمل لله

خط الفضيلة والعطاء

الرضا والتسليم

موقف في اللطف والعطف

عِبر من ثورة الإمام الحسين عليها لسلام

الإمام الحسين عليه السلام أصبح خالداً لأنّه من بيت يرى فيه زغب جبرائيل عليه السلام ومنزل الملائكة ومهبط الوحي من أهل بيت النبوة الذين طهرهم اللّه تطهيراً.

إذن علينا أخذ العبر والدروس من مصدرها الأصلي ونحن مطمئنون بها ونأخذها من ذرية أرادها اللّه أنْ تكون خليفة لنبيه صلى اللّه عليه وآله الذي أرسله رحمة للعالمين وقائداً للأمَّة، لكنَّ سوء فعل الأمَّة جعلها تحرف عن مسارها وطريقها المرسوم لها ومنذ اليوم الذي اجتمعت فيه تلك الشرذمة المخالفة لرسولها في سقيفة بني ساعدة وإلى ظهور قائم أهل البيت عليهم السلام الإمام المنتظر عجل اللّه فرجه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

بدأ الظلم والاضطهاد والقتل والتشريد لآل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله والتابعين لهم بأبشع صور القتل لم يشهد التاريخ مثيلاً لها.

وعلى الرغم من كل ذلك أفاضوا علينا عبراً ودروساً في كل أنحاء الحياة ومنهم الإمام الحسين عليه السلام فقال: «أنا قتيل العَبرة»(١).

نعم يا بن رسول اللّه فأنت عِبرة لنا نعتبر بك وبمواقفك الكريمة في معركة الطف ابتداءً من تحركك من موطن جدك

---

(١) كامل الزيارات، ص٢١٥، لواعج الاشجان، لسيد محسن الاميني ، ص٥.

إلى موضع استشهادك في كربلاء المقدسة وخلال مسيرتك في الطريق وأثناء تحدثك ومواعظك للناس لترشدهم وتبين لهم طريق الحق وتوضح لهم سبيل الهدى وإن كانت كلُّ حياتك مواعظ وحكماً وكلُّ أفعالك وحركاتك وسكناتك عبراً ودروساً للأجيال فنعم الراشد والناصح لكنّ القوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللّه.

وما زالوا يستلهمون الدروس من الإمام الحسين عليه السلام فأبطال الحشد الشعبي والقوات المسلحة استلهموا الدروس والعبر من مدرسة عاشوراء مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وإلاّ كيف يواجه المقاتل البطل أشرس عدو في تاريخنا المعاصر؟ ومن الذي يجعله يقدّم الدعم المادي والمعنوي للمقاتلين ومن الذي... هذا نموذج حيٌّ ودرس عمليٌّ نشاهده في حياتنا ونلتمسه من أبطالنا وإلاّ النماذج كثيرة عبر التاريخ منذ معركة الطف وعلى طول الخط.

مقارعة الظلم

لم يخرج الإمام الحسين عليه السلام إلاّ لأجل الإصلاح ولأجل الوقوف بوجه الظالم يزيد وأعوانه وكشف اللثام عن وجوههم الحقيقية وتصرفاتهم اللا إسلامية.

وقد صرّح بذلك قائلاً عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله»[١].

فإذا أردنا اتباع نهج سيد الشهداء عليه السلام علينا جميعاً أنْ نحيي مجالس العزاء في عاشوراء وغيرها لنتخذها نبراساً ينير لنا الطريق وإصلاحاً لتغيير الواقع الفاسد إلى واقع سليم وهذا الهدف هدف أساس ومركزي نتعلمه من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ذلك إنّ الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) لواعج الأشجان، لسيد محسن الامين، ص٣٠.

كان يعمّق روح الشعور بالمسؤولية أمام الله في نفوس البشر من بداية انطلاقه وقبل وصوله إلى كربلاء فقال عليه السلام عند خطابه لجيش الحر: «أيها النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أنْ يدخله مدخله...»(١).

وأوضح مصداق لما ذكره من قول النبيِّ صلى الله عليه وآله هو يزيد وحكومته الفاسقة الفاجرة الذي أراد قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فينبغي أنْ تكون مجالس الحسين عليه السلام التي تعقد أنْ تثير روح الحماس والثورية في نفوس الناس وتعمق شعورهم بالمسؤولية كما كان الإمام الحسين عليه السلام يفعل ذلك في خطبه، ومما يدعم ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، حتى ينهض المجتمع بمسؤولياته ولا يكون متقاعساً عن أداء مهامه.

لقد ثار الإمام الحسين عليه السلام على الظلم والطغيان لا لأجل شيء إلاّ لعبادة الله تعالى ليكون الناس عبيداً لله وحده لا للسلطان الجائر والظالم، ولهذا يروي الإمام الصادق عليه السلام عن جده الحسين عليه السلام أنّه قال: «أيّها الناس إنّ الله ما خلق الخلق، إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا عن عبادةٍ ما سواه»(٢).

إنقاذ العباد

اختار الإمام الحسين عليه السلام طريق العزّة والكرامة

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٣.

(٢) بحار الانوار، ج٥، ص٣١٢.

وطريق الحرية والتحرير وبذل مهجته ونفسه الكريمة لكي ينقذ العباد من التيه والضلال متبعاً أسلوب ﴿ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ يضحي بنفسه وبأهل بيته وأصحابه لأجل إعلاء كلمة الحق لتكون راية الإسلام عالية خفاقة، وللمحافظة على أحكام الدين من التعطيل والتغيير.

وجاء هذا المعنى في زيارة الأربعين المروية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «وبذل مهجته ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»(١).

وقد كرّم الله سبحانه وتعالى بني آدم وأشار في قوله: ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾، وأوجب تعالى الحفاظ على النفس، وحرّم قتلها إلاّ في موارد منها الدفاع عن النفس والعرض والمال بل اعتبر الشارع المقدس من يُقتل دون نفسه أو عرضه أو ماله فهو شهيد على الرغم من تشديده عزّ وجلَّ في الحفاظ على النفس ولكنَّه أرخصها عندما كان الهدف أسمى وأغلى مثل هدف الإمام الحسين عليه السلام، ولو لا ذلك لما أبقت بنو أميَّة للدين الإسلامي إلا اسمه ولا القرآن إلا رسمه وبالتالي كان يعيش الناس في جهل ينعقون فيها مع كلِّ ناعق فبتضحيته عليه السلام كشف الزيف الأموي وأنّ حكومتهم ليست شرعية باعتبار الحسين عليه السلام عدل القرآن بحديث الثقلين ويمثل الامتداد التطبيقي للنبوة فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، كلُّ ذلك واجه به الحسين عليه السلام يزيد (لعنه الله).

وما شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلاّ اختبار للناس وإتمام للحجة وهو مشعل هداية ونجاة الناس من التيه والضلال على الرغم من المصاعب والشدائد التي واجهته

---

(١) المصباح للكفعمي، ص٤٨٩..

فلم تثنيه عن عزمه ولم تضعف قوته لأنّه كان يعرف هدفه وغايته ويعرف طريقه وهذا ما كشفناه من خلال خطبه التي نصح بها الحاضرين وأرشدهم إلى الطريق القويم، هكذا يعلمنا الحسين عليه السلام كيف نخطط؟ وكيف نغيّر الموازين؟ وكيف ننتصر على الأعداء، فأراد الحسين عليه السلام العزّة والكرامة للمؤمنين ورفض الذل والخضوع للجبابرة والطواغيت ولو كلف ذلك نفسه وهي أغلى ما يملك الإنسان.

العمل للّه

ينبغي على الذين يثورون على حكام الجور وسلاطين الدنيا أنْ يكون هدفهم وجه اللّه عزَّ وجلَّ ومن أجل اللّه، وكذلك عندما يتسلم الإنسان سلطة كان عنده مقام عالٍ في المجتمع فينبغي استعمال جاهه وسلطانه من أجل نشر أحكام اللّه المعطلة وتعاليمه المنسية وإزاحة الظلم والاضطهاد عن عباده، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إنَّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، وتقام المعطلة من حدودك، فيأمن المظلومون من عبادك»(١)، وهذا ما فعله ولده الحسين عليه السلام لم يخرج إلاّ لطلب الإصلاح في أمّة جده رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله ولم ينتفض ضد يزيد إلاّ لجوره وظلمه للعباد وارتكابه المحارم وإباحته للأعراض وهتكه للستر والعفة، فقال عليه السلام: «ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء اللّه...»(٢).

هذا خط سيد الشهداء وأبيه عليهما السلام فينبغي أنْ نستلهم منهما الدروس والعِبر لتصحيح مسارنا وتكون نياتنا

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٢٤.

صادقة في القول والعمل للّه ومن أجل الدين لنحصل على المدد الإلهي والفوز في الدارين.

لقد كانت علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالله عميقة ومتجذرة فقد قيل له يوماً ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال: «لا يأمن من يوم القيامة إلاّ من خاف الله في الدنيا» وكان عليه السلام إذا توضأ تغيّر لونه وارتعدت مفاصله فقيل له عن سبب ذلك، فقال: «حق لمن وقف بين يدي الملك الجبار أنْ يصفر لونه وترتعد مفاصله»(١).

إنَّه كان يحافظ على صلاته وهو في ساحة المعركة ففي ليلة العاشر من المحرم، طلب الإمام الحسين عليه السلام من الجيش الأُموي أنْ يمهله تلك العشية قائلاً: «إنّا نريد أنْ نصلّي لربنا الليلة ونستغفره فهو يعلم أنّي أُحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار»، فكان عليه السلام في أضنك الظروف وأحرجها ويطلب من المعتدين أنْ يوقفوا عنه الزحف حتى يصلّي للّه تعالى.

فهذا السلوك وهذه الأقوال تعكس لنا مدى علاقته عليه السلام بالله عزَّ وجلَّ وحبه له فعلينا أنْ ننهل من هذا المنهل العذب وتكون نياتنا خالصة للّه سبحانه وتعالى، ويقول عليه السلام في دعائه «اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة منّي في دنياي، اللهم ارزقني بصراً في أمر الآخرة حتى أطلب الحسنات شوقاً وأفر من السيئات خوفاً يا رب»(٢)، هذه بعض المصاديق في علاقة الحسين عليه السلام بربه وكلما كانت العلاقة الروحية عميقة وقوية ظهرت على سلوك الشخص بشكل أوضح وأجلى.

---

(١) المجالس السنية، للسيد محسن الامين.

(٢) كشف الغمة، للأربلي، ج٢، ص٢٧٥، ط بيروت.

خط الفضيلة والعطاء

رسم الإمام الحسين عليه السلام في نهضته العظيمة للبشرية جمعاء خط الفضيلة والعطاء وترجم كلامه بأسلوب عملي ورسم ذلك الخط بدمه الطاهر ودماء أهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وضحى بكل شيء حتى رضي بأسر وسبي عائلته التي هي ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فهي أنبل وأقدس وأنقى وأتقى ذرية عرفها التاريخ، ففي كلام للإمام الحسين عليه السلام مع أخيه محمد ابن الحنفية لما قال له: (فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال فقال الإمام عليه السلام: «إنّ الله قد شاء أنْ يراهن سبايا»)(١).

فكانت النتيجة انتصار الدم على السيف وانتصار الفضيلة على الرذيلة وخذلان بني أُميّة فهي خاوية على عروشها، حيث لم يبقَ منها إلاّ التاريخ وملؤه الخزي والعار إذ وصل بهم الأمر أنْ لا يتجرأ أحدهم أنْ ينتسب إلى بني أُميَّة أو بني مروان وإنْ كان من ذراريهم وسلالتهم.

وينقل لنا التاريخ أن واحداً من أحفادهم وهو سعد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن مروان كان ينشج بالبكاء كما تنشج النساء، فلما سألوه عن ذلك أجاب قائلاً: (وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن)(٢).

وستبقى ثورة الحسين عليه السلام المباركة تفضح الحكام الفاسدين أتباع يزيد ومن سبقه ولحقه من نظرائه الذين قفزوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وخدعوا الناس وأضلوهم بأنّهم خلفاء لرسول الله بواسطة أحاديث موضوعة وأقلام مأجورة وضمائر ميتة وعقول ملؤها الجهل والفساد.

---

(١) بحار الانوار، للشيخ المجلسي، ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) الاختصاص، للشيخ المفيد، ص٨٥.

ولولا الثورة الحسينية لما افتضح الحجاج الذي كان يعذب ويقتل عشرات الألوف من الأبرياء ثم كان يعظ الناس حتى يبكيهم(١).

لولا الثورة الحسينية لما سنحت الفرصة أمام عبد الله بن الزبير أنْ يتحرك في مكة وأنْ يخلع سلطة يزيد ويعلن الثورة التي رفضت الأمويين وكادت أن تستولي على أطراف الدولة كافة.

ومن يا تُرى أزال الكابوس المظلم الذي خيّم على الأُمَّة وفك القيود التي قيّدت الأُمَّة وشلَّت حركتها بسبب بطش وظلم الحكومات التي توالت على منصة الحكم؟ أليس هو الإمام الحسين عليه السلام؟ نسل النبوة ومعدن الرسالة الذي كسر القيود وحطمها وعلّم الناس كيف يكونون أحراراً وكيف يكونون ثواراً كما يقول الشاعر:

لابد لليل أنْ ينجلي ولا بد للقيد أنْ ينكسر

وهل يصل الإنسان إلى مبتغاه إلاّ بالقوة وشحذ الهمم فلابد إذن من السعي والعمل ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾(٢).

إذن سيبقى الإمام الحسين عليه السلام نبراسنا عظيماً ينير الدرب لكلِّ البشرية ليميزوا الخير من الشر ويفصلوا بين الإسلام الصحيح وبين الإسلام المزيف.

ولم يقف الأعداء مكتوفي الأيدي بل اتخذوا موقفاً سلبياً من مجالس عاشوراء وحاربوها أشد محاربة وحاولوا طمس آثار الإمام الحسين عليه السلام ولكن الله أبى ذلك وازداد الحسين عليه السلام سمواً وارتفاعاً فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه،

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٨٥.

(٢) سورة الملك، آية ١٥.

فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علواً»(١).

نعم هذا هو الإمام الحسين عليه السلام وهذه نهضته المباركة التي فتحت العقول والبصائر وأنارت الدروب وعلمت البشرية درس الحرية والثورة، وعدم الرخوض أمام الظلم والفساد والبغي والجور.

الرضا والتسليم

كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم بما يجري عليه من مصائب ومؤامرات من خلال حديث القارورة التي أعطاها النبيُّ صلى الله عليه وآله لأُمِّ سلمة أو من خلال تصريحاته أثناء خطاباته على طول الطريق من مكة إلى كربلاء بأنّه مقتول مع جميع أهل بيته وأصحابه ومن أوائل بياناته عليه السلام في كتبه إلى بني هاشم: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب إلى بني هاشم: أمّا بعد فإنَّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام»(٢).

وقوله عليه السلام: «إنّي والله مقتول كذلك، وإنْ لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً...)(٣).

فما كان جواب أهل بيته عليهم السلام إلاّ ما يرضي الله حتى النساء والأطفال فهذه زينب عليها السلام عندما خاطبها ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ أجابته: «ما رأيت إلاّ جميلاً»(٤).

فهم راضون بما نزل بهم ومسلِّمون أمرهم إلى بارئهم ويؤثرون على أنفسهم لينجوا الناس من التيه والضياع، ولم

---

(١) كامل الزيارات، ص٤٤٤.

(٢) بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٣.

(٣) الخرائج والجرائح، ج١، ص٢٥٣، ح٧.

(٤) بحار الانوار، ج٤٥، ص١١٥، الباب ٣٩.

نسمع أن أهل البيت عليهم السلام تضجروا أو تأسفوا لما ضحوا به أو حتى شكوا ما جرى عليهم من قتل وتشريد وسبي وعلى الرغم ممّا صُنع بهم وبعد مضي قائدهم وإمامهم واستشهاده عليه السلام لاقتلاع جذور الغي والطغيان وأين أصبحت عروش بني أُميّة؟ فقد أضحت خاوية وكانوا في مزبلة التاريخ.

وانظر إلى أولياء الله تلك قبورهم سمت علواً وارتفاعاً ويقصدها ملايين الزوار في كلِّ فترة وعلى طول السنة، وستبقى ثورة الحسين عليه السلام باقية خالدة إلى اليوم ملتهبة في قلوب المؤمنين ولن تنطفئ إلى يوم القيامة تلهب المشاعر، وتوقظ الغافلين، وترهب الظالمين ولن تبرد حرارة قتلة أبداً، وهو ما أكده جده الصادق الأمين صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى حين قال: «إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»(١).

وسنبقى نستلهم الدروس والعِبر من ثورة الإمام الحسين عليه السلام أهمّها رضا الله تعالى بنص قول الإمام الحسين عليه السلام «إنْ كان هذا يرضيك فخذ حتّى ترضى»، والتسليم بما أراده الله تبارك وتعالى، وأنْ تجري الأُمور بأسبابها، ونصبر على ما يصيبنا ولا نضعف ولا نتهاون من الوصول إلى الأهداف الدينية السامية المرسومة مهما كلفنا ذلك ونضحي بكل غالٍ ونفيس.

موقف في العطف واللطف

لا شك أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام كانوا شر خلق الله رغم مواقف الإمام الحسين عليه السلام النبيلة معهم، وكمثال على ذلك (مرّة ترجل عليه السلام ليسقي أحد أفراد

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٨.

العدو من ماء قربته ومن قبل أبوه عليه السلام فعل ذلك أيضاً فسقى العدو الماء وكانوا حينئذ منهكين عطاشى، لكنه عليه السلام أبى إلاّ أنْ يسقيهم وأحسن إلى العدو بتقديم الماء لهم ولخيولهم ليرتووا وهذه من شيم الإمام عليه السلام ونبل أخلاقه وهو من أهل بيت عرفوا بهذه المواقف النبيلة والأخلاق الكريمة التي تعلموها من جدهم الذي قال عنه القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فكان من الممكن أنْ يهلكهم الإمام عليه السلام من العطش لأنّه كان في حالة الدفاع عن النفس لكنَّه امتنع عن ذلك لأنّه لا يسلك مثل هذه الأساليب ولا يعاملهم بنفس منطقهم فسيرة أئمتنا سيرة هداية وإنقاذ الناس كما مرَّ علينا فالأئمة يعرفون بهذه المبادئ النبيلة وبهذه السيرة المفعمة بمعاني الإنسانية وأنّ الدين الإسلامي هو خزين من الرحمة والمروءة والواقعية والإنسانية ويجب إيصال تلك المبادئ إلى العالم.

ففي رواية عن الإمام عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال لأبي الصلت الهروي: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»، فقال أبو الصلت: وكيف ذلك؟ فقال عليه السلام: «يتعلم علومنا ويعلمها للناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»(١).

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام في موقفه هذا مع جيش الحر أروع المواقف وأجلّها في العطف واللطف حتى مع أعدائه وكان يأمل أنْ يهدي به الله ولو فرداً واحداً من جيش العدو وينقذه من شفير الهاوية وعذاب الآخرة فكان عليه السلام حتى في سيرته وتحركاته يريد بها أنْ ينجي العباد ويهديهم إلى طريق الرشاد.

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٣٠٧.

فيجب أنْ نستوعب جميعاً دروس المدرسة الحسينية ونضيء بها دربنا ونستعين بها على هدايتنا والثقة باللّه تعالى وإظهار المحبة مع الصديق والعدو... وغير ذلك من الدروس وأنْ نعلّمها للغير وهذه مهمة الجميع دون استثناء نسأل اللّه أنْ يأخذ بأيدينا لما فيه الصلاح والفلاح.

السلام عليك يا أبا الأحرار يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً

والحمد للّه ربِّ العالمين